تعامل فخر الدين الرازي مع مرويات قطرب في تفسيره"مفاتيح الغيب"

Research Method of Fakhr ud-Din al-Razi in Narrations of Qutrub in al-Tafsir al-Kabir

Dr Hafiz Muhammad Altaf
Assistant Professor Department of Arabic
University of the Punjab Lahore
Email: altaf.arabic@pu.edu.pk

ABSTRACT
The interpreter of the Holy Quran must have complete knowledge of linguistics and its different fields, so that they can enrich his knowledge in interpreting the Qur'an. Likewise, an interpreter cannot write something without proof. Rather, he must provide evidence for everything he claims in terms of explaining the meaning or grammatical or linguistic guidance. Therefore, we see them relying on the sayings and narrations of the predecessors to define the meaning of Quranic words. When dealing with issues of language, derivation, grammar, rhetoric, and interpretation, Sheikh Fakhr al-Din al-Razi often resorts, in his great interpretation named "Mafateeh Ul Ghaib" to the sayings of scholars and linguists, the most famous of whom are Al-Khalil bin Ahmad, Sibawayh, Al-Layth, Al-Mu'raj, Abu Ubaidah, Al-Farra, and Ibn Qutaybah. Al Mubarrad, Azzujaj, Abu Ali, and Al-Jabai. Among them is the famous linguist Qatrub, a student of Imam Sibawayh. Sometimes he mentions him as part of a statement and guidance, and sometimes he dominates his opinion. This article will shed light on Sheikh Fakhr al-Din al-Razi's dealing with Qatrub's narrations, so it shows us the aspects in which al-Razi cites his narrations. Even though the number of his narrations is about 43 in Tafseer Al- Kabir, still I chose examples for each type and did not intend to comprehend.

الملخص
لا بدّ للمفسّر أن يكون بمعرفة تامّة على علوم اللغة وأهلها، حتى يستفيد من علومهم في تفسير القرآن، وكذلك لا يمكن لمفسّر أن يدّعي أمرًا بدون برهان، بل لا بدّ له من تقديم دليل على كلّ ما يقدمه من بيان المعنى أو التوجيه النحوي أو اللغوي. ولذلك نراهم يعتمدون على أقوال السلف ومروياتهم في تعيين مفهوم الكلمات القرآنية. فعند معالجة المسائل من اللغة والاشتقاق والنحو والبلاغة والتفسير كثيرًا ما يلجأ الشيخ فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير المسمى بـ"مفاتيح الغيب" إلى أقوال العلماء واللغويين من

أشهرهم، الخليل بن أحمد، وسيبويه، والليث، والمؤرج، وأبو عبيدة، والفراء، وابن قتيبة، والمبرد، والزجاج، وأبو علي، والجبائي. ومن بينهم اللغوي الشهير قطرب تلميذ الإمام سيبويه، فتارة يذكره ضمن قول و وتوجيه من الأقوال، وتارة يرجح به رأيًا.فهذه المقالة ستلسط الضوء على تعامل الشيخ فخرالدين الرازي مع مرويات قطرب، فتبين لنا الجوانب التي يستشهد الرازي فيها بمروياته، وإن كانت مروياته بلغت 43 رواية في التفسير الكبير. ولكن اخترت النماذج لكل نوع ولم أتوخ الاستيعاب.

التمهيد

هذه المقالة تسلط الضوء على تعامل فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى مع مرويات قطرب، والمنهج الذي اخترت هو المنهج التحليلي الوصفي حيث جمعت أقوال قطرب ومروياته تحت عناوين ملائمة معها، حتى يمكنني دراسة الجوانب التى استمدّ فيها الرازي بمرويات قطرب، فذكرت السياق الذي ذكر فيه الرازي ذلك القول وترجيحه أو ضعفه إن وجد. ولا بدّ لي أن أذكر أن المقالة لم تقصد استيعاب مروياته، بل توخّت ذكر الأنواع بنماذج متعلقة بها. ومروياته في تفسير الرازي تصل إلى 43 رواية. وكذلك هذه المقالة تحتوي على أهم النتائج في النهاية، وتقدم بعض التوصيات والاقتراحات إلى القارئين والباحثين.

نبذة يسيرة من حياة الإمام الرازي

(544 – 606 هـ = 1150 – 1210 م)

هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الشهيربـ "فخر الدين الرازيّ" كان أمامًا في التفسير، ومتفردًا في المعقول والمنقول بين أقرانه، كما أنه كان حائزًا علوم الأوائل. كان ينتمي إلى قريش في النسب. وأصله كان من طبرستان، ولكن مولده كان في الري(وهي مدينة مشهورة فتحها قرظة بن كعب الأنصاري في خلافة أمير المؤمنين الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، تقع على جادة طريق خراسان على بعد ثلاثة مراحل من قزوين [1]) وبالنسبة إليها سمّي بـ"الرازي" ، وبلغ من كمال في العلم حتى إن الناس أقبلوا يتدارسون على كتبه في حياته،نسبته، وكان متقنًا في اللغات من بينها الفارسية والعربية.[2]

ولد الشيخ الرازي سنة 544 هـ.وكان والد عالمًا شهيرًا لقّب بخطيب الري .

ومن ومن أهم ما تركه من آثار علمية:

1:التفسير الكبير المسمى بـ"مفاتيح الغيب"، وهذا هو التفسير الذي نحن ندرسه من حيث مرويات قطرب، وطريق تعامل الشيخ الرازي معها، ما نحن بصدده الآن.(وإن كان العلماء صرّحوا بأن هذا التفسير لم يكمله الرازي بسبب وفاته، بل أكمله العالم الآخر إما شهاب الدين الخويي الدمشقي وإما نجم الدين القمولي كما ذكره صاحب كتاب التفسير والمفسرون [3])

2:المطالب العالية، هو تأليف في علم الكلام، 3: البيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان. 4: المحصول، وهو تأليف في أصول الفقه، 5:وكذلك صنف فى الحكمة كتابًا باسم: المخلص، 6:وشرح الإشارات لابن سينا، 7:ونقل أيضًا أنه شرح المفصل فى النحو للزمخشرى وغيرها من الكتب.

وتوفي الرازي رحمه الله تعالى سنة 606 هـ [4]

نبذة من حياة اللغوي الشهير قطرب

اسمه محمد بن مستنير، كان لغويًا شهيرا من علماء البصرة، ولكن عُرف بـ"قطرب"، وهذا الاسم بضم القاف الطاء الساكنة، وضم الراء وبعدها باء. والقطرب، في اللغة دوبية من عادتها أنها لا تزال تدبّ ولا تتعب ولا تفتر، فسماه أستاذه سيبويه بهذا الاسم لأنه كان يأتي إليه في الصباح الباكر قبل أن يحضر بقية الطلاب والتلاميذ، فقال له:"ما أنت إلا قطرب ليل"، وكان من أَئِمَّة عصره في علوم اللغة العربية[5]. وكان يدرّس أولاد أبي دلف العجلي (كان أمير الكرج وتوفي ببغداد سنة خمس وعشرين ومائتين [6])

وأخذ العلم عن سيبويه وعن عيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة،كما أنه أخذ عن النَظَّام المعتزلي، المتكلم وإمام المعتزلة(وكان اسمه إبراهيم بن سيّار البصري، سمّي بـ"النظّام لحسن الكلام في النظم والنثر أو كان ينظم الخرز، فيبيعه، توفي سنة 230 من الهجرة")[7]، وكان على مذهبه في الاعتزال. وأخذ عنه ابن السكيت وقال: كتبت عنه قمطرا ثم تبينت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئا(وابن السكيت هو يعقوب بن إسحاق، نحوي وأدبي من علماء بغداد، صاحب إصلاح المنطق، توفي سنة 244 من الهجرة[8]) [9]. [10] وكان يوثق فيما ينقله، توفي سنة 206 من الهجرة. [11] ولكن كثيرًا من المفسرين في أهل السنة نقل أقوالهم مما يدل على أنه كان ثقة فيما ينقله، مثل مقالتنا هذه دليل وشاهد عليه حيث إن الرازي رحمه الله عوّل على أقواله في مواضع عديدة.

ومن مؤلفاته:

1: معاني القرآن، 2: الاشتقاق، 3: القوافي، 4: النوادر، 5: الأزمنة ، 6: الأصوات ، 7: الصفات،8: العلل في النحو، 9: الأضداد، وكذلك هو أول من وضع في اللغة المثلث ، وهذا الكتاب وإن كان صغير الحجم ولكنه بسبق حائز تفضيلًا. [12] أما نظم المثلثات فنظمها سديد الدين أبو القاسم عبد الوهاب المهلبي،[13]

تعامل فخر الدين الرازي مع مرويات اللغويين في التفسير

يلجأ الرازي في تفسيره إلى أقوال اللغويين والنحويين لإيضاح المسائل اللغوية والنحوية، فمنهم أشهرهم: الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين وصاحب علم العروض، وكان رأسًا في علوم اللغة، وتوفي سنة 161 أو 170 من الهجرة [14]، وسيبويه صاحب الكتاب في النحو، أبو بشر عمرو بن عثمان، وكان حجة

العرب، أصله من فارس، سمّي سيبويه لوجنتيه اللتين كانتا كالتفاحتين، توفي سنة 180 أو 188 من الهجرة.[15]

والليث بن مظفر صاحب الخليل الذي أملى عليه الخليل كتابه العين، وكان كاتبًا بصيرًا بالأدب والشعر[16]، والمؤرج بن عمرو السدوسي من أصحاب الخليل بن أحمد، توفي سنة 195 في قول. [17]

وأبو عبيدة معمر بن المثنى، البصري، النحوي مات سنة 209 أو 210 من الهجرة [18]

والفراء النحوي الكوفي، توفي سنة 207 من الهجرة،[19] وابن قتيبة الكاتب صاحب كتاب أدب الكاتب في الأدب العربي، توفي سنة 322 من الهجرة،[20] والمبرد النحوي، صاحب كتاب الكامل في اللغة والأدب، توفي سنة 286 من الهجرة،[21] والزجاج إبراهيم بن محمد البغدادي، كان يكسب من عمل الزجاج عند المبرد فاشتهر به، كان نحويا وصاحب "معاني القرآن، توفي 311 من الهجرة، . [22]

1:مرويات قطرب في المسائل الصرفية

والمسائل الصرفية يراد بها مواضع ناقش فيه قطرب بنية الكلمة وما يتعلق بها. وهذه المواضع إما توجد صراحة، وإما ضمنًا.

المثال الأول:قال الرازي في تفسيره عند قوله تعالى:" ﴿سَلْ بَنِي إِسْرائِيل﴾" فكلمة"سَلْ" فعل أمر، ولكن الرازي رحمه الله تعالى ذكر أن هذه الكلمة يمكن أن تبنى من مهموز العين أي سأل يسأل، فالأمر منه اسأل إلا أن الهمزة حذفت تخفيفًا ونقلت حركتها إلى السين قبلها، فلم نحتج إلى همزة الوصل، فصار سل. وهناك وجه آخر في بينة الكلمة هو أنها فعل أمر من سال يسال مثل خاف يخاف، والأمر منه سل ك"خف" من خاف. وإلى هذه البينة أشار بإيراد قول قطرب بأن هذه الكلمة وردت مهموزًا كما مرّ وأجوفًا أيضًا مثل خاف. فحينئذ لم نحتج إلى تخفيف الهمزة وإسقاط همزة الوصل. فقال الرازي:" و وَقَالَ قُطْرُبٌ: يُقَالُ سَأَلَ يَسْأَلُ مِثْلُ زَأَرَ الْأَسَدُ يَزْأَرُ، وَسَالَ يَسَالُ، مِثْلُ خَافَ يَخَافُ، وَالْأَمْرُ فِيهِ: سَلْ مِثْلُ خَفْ"[23]

والمثال الثاني: قال الرازي رحمه الله تعالى في موضع آخر في تفسيره موضّحًا معنى اسم التفضيل في قوله تعالى:" ﴿**وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا** ﴾[24] فطرح الإمام الرازي سؤالًا، وهو أن جميع التوراة مأمور بالتعبد، فكيف يليق أخذ الأحسن وترك ما ليس بأحسن؟ أي ما يكون حسنًا ولم يك أحسن لا يجوز أخذه كما يدلّ عليه ظاهر الآية"، فأجاب الرازي عنه بأجوبة منها أن الأمر بالأحسن للندب لا للإلزام والقطع حتى يلزم ترك الحسن، والجواب الثاني نقله عن قطرب، وهو يتعلق بالمسئلة الصرفية، بيانه أن اسم التفضيل لا يراد به دائمًا معنى التفضيل بل يذكر اسم التفضيل بدون نية التفضيل على الآخر [25] ، فيراد به حينئذ معنى الصفة مجرّدا عن معنى الأفضلية.وله نظائر في كلام العرب، كما قال الله تعالى:

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [الْعَنْكَبُوتِ: 45]، فلا يراد أن ما سوي الذكر من أشياء العالم كبيرة، وكذلك قول الفرزدق [26]

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

فإن معناه دعائمه عزيزة وطويلة، كما صرّح به مصطفى الغلاييني [27]

فقال الرازي رحمه الله تعالى ناقلًا كلام قطرب:"الْوَجْهُ الثَّانِي: فِي الْجَوَابِ قَالَ قُطْرُبٌ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها أَيْ بِحُسْنِهَا.... [28]

وهذه المسئلة الصرفية لم يصرّح بها الرازي إلا أن ذكره قول قطرب مما يدلّ عليها معنًى.فيكون معنى الآية أن الأحسن يرادف الحسن ههنا، وكلها حسن. وهناك حاجة إلى دراسة أقوال قطرب بالضبط، لأن حكاية الرازي لا يدل على منتهى قوله فلا يُدرى بالضبط نهاية قوله.

2:مروياته في المسائل النحوية

ذكر الرازي أقوال قطرب في إيراد الوجوه النحوية في الآيات أيضًا، فنراه يوضّح جانبًا نحويًا بعدة وجوه عن علماء مختلفين، فيذكر وجه ارتضاه قطرب. وفيما يلي بعض أمثلته.

المثال الأول: ذكر الرازي رحمه الله تعالى مسألة إعراب قوله تعالى:" ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ [29]" فقال: فذكر في قوله تعالى: لاتعبدون.. مسائل. المسئلة الأولى في قراءة هذه الكلمة والمسألة الثانية في إعرابه، فذكر فيه خمسة أقوال.ولم يرجح قولًا على آخر، بل سرد الأقوال، إلا أنه أيد قولًا منها بنظائر مما يدلّ على أنه المختار في نظره، والله أعلم بالصواب.

وأما عند قطرب فقال إن قوله تعالى: لا تعبدون إلا الله" في محلّ نصب على الحالية، فكانت هذه الجملة خبرية وقعت موضع الحال، وصاحب الحال لم يذكره الرازي إلا أنه واضح من بيان معناه، فهو"بنى إسرائيل" فكأنه قال تعالى: أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ غَيْرَ عَابِدِينَ إِلَّا اللَّهَ. وإليه أشار الرازي في قوله: "الْقَوْلُ الثَّالِثُ: قَوْلُ قُطْرُبٍ: أَنَّهُ يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ...."."[30]

وهناك وجه آخر ذكره الرازي في توجيه الإعراب، وهو أن"أن" المصدرية وحرف الجر محذوفان هناك، والجملة مرفوع بعد حذف حرف المصدر و حرف الجرّ. والإمام الرازي سرد الآراء من غير بيان الكلام فيها. ولكن رأيت السمين الحلبي عند إيراد هذا القول يحاكم الأراء فيبين وجوه الضعف إن كانت. فقال السمين الحلبي أن فيه نظرًا، وبيّنه. [31]

المثال الثاني: قال الرازي رحمه الله تعالى في قوله تعالى:" ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [32]"فطرح الإمام الرازي سؤالًا وهو أنه كيف يستقيم معنى الاستثناء عن الحجة في حق الذين ظلموا؟ لأن شبهة الذين ظلموا ليست بحجة. فقال:يمكن في الجواب وجوه: فذكر أربعة أجوبة، جوابان منها على

تقدير الاستثناء إما متصلا وإما منفصلًا، والجواب الثالث :أن "إلا" بمعنى الواو، والقول الرابع نقله عن قطرب، فذهب قطرب أن الذين بدل من ضمير "كم" والْقَوْلُ الرَّابِعُ: قَالَ قُطْرُبٌ: مَوْضِعُ الَّذِينَ خَفْضٌ لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْكَافِ وَالْمِيمِ فِي عَلَيْكُمْ كَأَنَّهُ قِيلَ: لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَإِنَّهُ يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ وَهُمُ الْكُفَّارُ[33] , وبعد إيراد القولين الثالث والرابع علّق الرازي عليهما أنهما وجهان بعيدان، ولم يصرّح ضعفهما بل حكم عليه مطلقًا، ونرى السمين الحلبي عندإيراد قول قطرب يفصّل في إيراد وجه الضعف. وكذلك المعنى المقدر واضح لديه [34] بنسبة الرازي رحمهما الله تعالى ، وبيان المعنى يحتاج إلى إيضاح وهو أن أصحاب الشوافع يقولون بمفهوم المخالف، فيثبت المعنى لديهم على هذا الأصل، فثبوت المعنى في حق الذين ظلموا ثابت من المفهوم، لأن "كم" في قوله تعالى:" ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ**﴾ " مراد به غير الظالمين، وذلك لأن "إلا" يعطي معنى "غير"، فثبوت المعنى في حق الذين ظلموا من مفهوم المخالف.

والمثال الثالث:ذكر الرازي رحمه الله تعالى في قوله تعالى:" ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ [35]" أن رفع"صبر" إما بالابتداء، أو بالخبرية بإضمار الابتداء، والذين أضمروا المبتدأ اختلف عباراتهم في التقدير، فذهب الخليل بن أحمد إلى أنه "الذي أفعله"، وقال القطرب:إنه"صبري" وذهب الفراء إلى أنه"هو". فقول قطرب لم يأت به الرازي من وجه جديد في بيان الإعراب، بل لعلّه أشار به إلى اختلاف المعنى الذي يكون على كلّ تقدير. وإلا فالأقوال الثلاثة كانت متفقة في وجه الإعراب، وهو إضمار المبتدأ هنا. فقال الرازي:" وَقَالَ قُطْرُبٌ: مَعْنَاهُ: فَصَبْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فَهُوَ صَبْرٌ جَمِيلٌ". [36]

3:مروياته في الاشتقاق

والإمام الرازي يكثر في إيراد المسائل في اشتقاق الكلمات القرآنية، فيأتي بآراء متنوعة بترجيح بعضها على بعض أحيانًا وبتركها أحيانًا

المثال الأول في بيان الاشتقاق: ذكر الرازي رحمه الله مسائل علمية متنوعة في الآية في قوله تعالى:" ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [37]" من بينها مسألة تتعلق باشتقاق كلمة "القرآن"، فقال: ذهب العلماء إلى أن الكلمة إما مشتقة أو غير مشتقة، فالقائلون بالاشتقاق ذهب بعضهم إلى أنها غير مهموز، من قرن أو من القرائن، والذين قالوا باشتقاقها من المهموز فاختلفوا في الأصل المشتق منه، فقال البعض: إن هذه الكلمة مشتقة من قرأ بمعنى القراءة، وذهب الآخرون إلى اشتقاقها من القرء بمعنى الجمع، لأن القرآن يضمّ السور، وذهب قطرب إلى أنها مشتقة من "قرأ" بمعنى الإلقاء والرمي، ووجه المناسبة بين الأصل المشتق منه والمشتق أن القارئ عند القراءة يلقي القرآن من فمه، وهذا الأصل المشتق منه مأخوذ من قول العرب:ما قرأت الناقة سلًى، أي لم ترم بولد ولم تُسقط ولدًا، ولهذا سمّي الحيض لأنها ترم في تلك الأيام دمًا من رحم امرءة، وإلى هذا أشار الرازي قائلًا:" وقَوْلُ قُطْرُبٍ وَهُوَ أَنَّهُ سُمِّيَ قُرْآنًا، لِأَنَّ الْقَارِئَ يَكْتُبُهُ، ....." .[38]

والمثال الثاني على اشتقاق الكلمة ذكره الرازي رحمه الله في قوله تعالى:" ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾ (39) " وجه اشتقاق "بكّة" التي من أحد أسماء مكة المكرّمة، ثمّ ذكر الرازي رحمه الله تعالى وجة التسمية بذاك، فقال: إنها تدّ أعناق الجبابرة، كما حدث في وقعة الفيل المشهورة، وفي تاييد هذا الوجه الاشتقاقي جاءالرازي بقول قطرب قائلًا: قَالَ قُطْرُبٌ: تَقُولُ الْعَرَبُ بَكَكْتُ عُنُقَهُ أَبُكُّهُ بَكًّا إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ وَرَدَدْتَ نَخْوَتَهُ.(40)

4:مروياته في المعاني المعجمية

يوضح الرازي رحمه الله تعالى معاني الكلمات الغريبة بأقوال اللغويين، فيذكر المعاني المختلفة لديهم، لأن هذا يؤثّر في تفسير الآية، فقال في بيان معنى"القِسّيْس" في قوله تعالى:" ﴿**بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ**﴾ (41)" فذكر الرازي في بيانه قولين: الأول أنه كان اسم رجل منهم بقي على دين الحق، ثمّ أطلق على كلّ من اتبع طريقته، والقول الثاني هو ما ذكره عن قطرب: هو أن معناه في اللغة الرومية العالِمُ، وهذا المعنى هو الذي استخدمه العرب في المعنى نفسه، فتكون الكلمة مما اتفقت بين اللغتين العربية والرومية. ولعلّ هذا الوفاق بين اللغتين وجه الترجيح من الرازي في بيان معنى الكلمة.فقال الرازي رحمه الله تعالى:" فقَالَ قُطْرُبٌ: الْقَسُّ وَالْقِسِّيسُ الْعَالِمُ بِلُغَةِ الرُّومِ، وَهَذَا مِمَّا وَقَعَ الْوِفَاقُ فِيهِ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ". (42)

5: مروياته في تفسير الآية

قد يذكر الرازي رحمه الله تعالى قول قطرب لتفسير القرآن، وإن لم يكثر من قوله في هذا الشأن، ولكن نقْل الرازي يدلّ على أن لقطرب رأيًا في تفسير الآية، فعلى سبيل المثال ذكر الأمام الرازي رحمه الله تعالى أحدًا وعشرين قولًا أو مذهبًا في المراد من فواتح السور، وذكر المختار من الأقوال عند المحققين أنها أسماء السور، ونصر هذا المذهب بالأقوال والأجوبة عن الأسئلة الواردة، ولكن الرازي رحمه الله تعالى لم يقف على المختار من الأقوال في الأمر، بل رأيناه مال إلى قول قطرب، وهو أن فواتح السور وسيلة إلى استماع القرآن والتدبر فيه، لأن بداية الكلام بهذه الحروف المبهمة لدى الإنسان يجعله حريصًا على إصغاء ما بعده؛ ، إذ الإنسان مجبول على حبّ شيئ منع منه، وعدم فهمهم هذه الألفاظ يحدث فيهم الاضطراب في فهمها حيث كانوا يدّعون لأنفسهم الكمال والبلوغ في ذروة اللغة العربية، ثمّ ذكر ما يؤكد هذا المذهب بأمرين: أوّله أن مجيئها في أوائل السورة يوهم ما ذكر، والثاني: أن هذه الحروف سيصير سببًا للوقوف على محكمات القرآن التي ستخلص السامع عن الضلالات. والآن أذكر العبارة التي ذكرها الرازي رحمه الله في المسئلة:" هذه مِثْلَ مَا قَالَ قُطْرُبٌ مِنْ أَنَّهُمْ لَمَّا تَوَاضَعُوا فِي الِابْتِدَاءِ عَلَى أَنْ لَا يَلْتَفِتُوا إِلَى الْقُرْآنِ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْأَحْرُفِ فِي الِابْتِدَاءِ حَتَّى يَتَعَجَّبُوا عِنْدَ سماعها...." (43)

ويقول الرازي رحمه الله تعالى موضع آخر في بيان معنى الفرقان الوارد في قوله تعالى:"﴿ **وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ**﴾ (44) ، فما المراد بـ"الفرقان" فبيّن الرازي رحمه الله تعالى أقوالًا مختلفة في تفسيره، وملخصه أن المراد به إما التوراة نفسها، فيكون للتوراة صفتان، الأولى كونها كتابًا من عندالله، والثانية فرقانًا يفرّق بين الحق والباطل. وإما يرادبه بعض ما في التوراة من أحكام، أو يراد به شيئ خارج من التوراة، فهو إما المعجزات من اليد البيضاء والعصا. وذكر الرازي رحمه الله تعالى عن قطرب أن المرادبه هو انفراق البحر لموسى عليه السلام. فتبيّن أن الفرق والانفراق كان لأجل موسى عليه السلام وكذلك هذه النعمة من الله تعالى دليل على وجود الصانع وقدرته فلعلهم يهتدون. وإلى هذا أشار الرازي عن قطرب قائلًا:" قَالَ قُطْرُبٌ الْفُرْقَانُ هُوَ انْفِرَاقُ الْبَحْرِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ". (45)

6:توضيح محاورات العرب

يستمدّ الإمام الرازي في تفسيره أحيانًا بأقوال قطرب في توضيح أقوال العرب ومحاوراتهم. ولهذا وجه هو أن قطرب من عصر الاحتجاج إذ توفي في بداية القرن الثالث الهجري، فكان يعرف محاورات العرب وأقوالهم حيث عاش في بينهم، فعلى سبيل المثال قال الرازي عن قطرب في بيان معنى "راعنا" الوارد في قوله تعالى:" ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا**﴾ (46) " فذكر الرازي رحمه الله ستة أوجه في سبب المنع عن هذه الكلام أو الكلام بهذه الكلمة، فذكر خلالها قول قطرب، وهذا يدلّ على أنه كان على معرفة تامّة بكلام العرب وأساليبهم في محاوراتهم، فقال إن هذه الكلمة يعنى راعنا وإن كان له مفهوم ومعنى صحيح، ولهذا كان المسلمون يقصدون به ذلك المعنى الصحيح، إلا أن هذه الكلمة أو الكلام في كلام أهل الحجاز يراد بها السخرية والاستهزاء، فمنع الله سبحانه المؤمنين من استخدام هذه الكلمة حتى لا يفتح باب الشر من الذين يترقبون بسوء في جناب النبي صلى الله عليه وسلم. فنقل الرازي عنه في المقام قائلًا:"قال قُطْرُبٌ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّ أهل الحجاز ما كانوا يقولونها إلا عند الهزء وَالسُّخْرِيَةِ، فَلَا جَرَمَ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، (47)

والمثال الثاني على هذا الباب ما ذكره الرازي في بيان معنى قوله تعالى:" ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ (48) "، فنقل الرازي عن قطرب أن هذه المحاورة وردت على عادتهم، وبيانه أن العرب إذا أرادوا إخفاءشيئ وكتمانه، ويريدون المبالغة في المعنى فيقولون: كتمته من نفسي" فكذلك سبحانه وتعالى بلّغ الناس رسالة في إخفاء أمر الساعة بأبلغ وجه كانوا يعرفونه. وإلى هذا أشار الرازي رحمه الله تعالى عن قطرب قائلًا:"قَالَ قُطْرُبٌ: هَذَا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي مُخَاطَبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا يَقُولُونَ: إِذَا بَالَغُوا فِي كِتْمَانِ الشَّيْءِ كَتَمْتُهُ حَتَّى مِنْ نَفْسِي فالله تَعَالَى بَالَغَ فِي إِخْفَاءِ السَّاعَةِ فَذَكَرَهُ بِأَبْلَغِ مَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي مِثْلِه (49)

7:إيراد اللغات في الكلمات

نقل الرازي رحمه الله تعالى في قوله تعالى:" ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾ [50]" قول قطرب، وقال الرازي رحمه الله تعالى إن هذه القراءة وردت متواترة، ولكنها خالفت المسألة المشهورة في إعراب المثنى، وهو إعرابه في حالة النصب بالياء المفتوح ما قبلها، والنون. وفي الآية وردت بالألف والنون وهو إعرابه في حالة الرفع، فاختلف النحاة في ذكر الوجه الإعرابي في الآية، فنقل الرازي عن قطرب أن هذا الإعراب على لغة بلحارث، ومراد وخثعم وبعض من بني عذرة، وفي تاييد هذا القول جاء الرازي بقول قطرب عن العرب في هذا الأمر، فقال: وَقَالَ قُطْرُبٌ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: رَأَيْتُ رَجُلَانِ وَاشْتَرَيْتُ ثَوْبَانِ. [51] فعلم أن قطرب كان على معرفة بلغات العرب.

نتائج البحث والاقتراحات

قد علم فيما ذكرنا من النماذج أن قطرب كان عالما باللغة العربية، وعلومها من النحو والصرف والاشتقاق، كما كان لديه إلمام متميز حول أقوال العرب ولغاتهم. وكذلك كان له أراء في تفسير الآيات.

والبحث استنتج أن الإمام الرازي استمدّ من اللغوي والنحوي قطرب في تفسيره، فكان بمثابة مصدر من مصادر تفسير الرازي الكبير. وربّما رجح الرازي قول قطرب في مواضع مما يشهد ببراعة لقطرب من عالم جليل أعني الإمام الرازي.

إن الإمام الرازي ذكر المعلومات والمواد عن قطرب ولم يحل المعلومات إلى مصدرها عند الذكر. ولعله نقل عن تأليفه معاني القرآن.

هناك حاجة بأن يتقدم باحث فيدرس جميع ما نقله الرازي عن قطرب، وهو يبلغ ثلاثة وأربعين مبحثًا، كما أن هناك حاجة إلى مقارنة بين ما نقله الرازي عن قطرب وبين ما نقله الآخرون في المسائل اللغوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

[1]: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: البلدان. بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1422 هـ، 89/1

[2]: الزركلي، خير الدين، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ): الأعلام. دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م 313/6 .

[3]: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ): التفسير والمفسرون. القاهرة، مكتبة وهبة، 207/1

[4]: حسين: التفسير والمفسرون. ،207/1

[5]: الصفدي، صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات. بتحيقي أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، :1420هـ- 2000م..14/5-15

[6]: الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء. القاهرة، دار الحديث، ط: 1427هـ-2006

[7]: الصفدي،: الوافي بالوفيات..15/6

[8]: الذهبي، سير أعلام النبلاء. 437/9

[9]: الذهبي، سير أعلام النبلاء. 152/8

[10]: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. بيروت، بتحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، 2646/6

[11]: الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. 145/5

[12]: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بتحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر،312/4

[13]: الزركلي، الأعلام. 95/7 .

[14]: الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام،.355/4

[15]: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 346/7

[16]: الصفدي، الوافي بالوفيات. 313/24،

[17]: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 306/5،

[18]: الذهبي، سير أعلام النبلاء. 152/8

[19]: المصدر السابق. 292/8

[20]: المصدر السابق.346/11

[21]: المصدر السابق .546/10

[22]: المصدر السابق.222/11.

[23]: الرازي، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. بيروت، دار إحياء التراث العربي - ط: الثالثة - 1420 هـ.365/6

[24]: الأعراف:145

[25]: العقيلي، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، ط: العشرون 1400 هـ - 1980 م.182/3

[26]: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس. الكامل في اللغة والأدب، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي - ط: الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1997 م،227/2

[27]: الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم: جامع الدروس العربية. بيروت،المكتبة العصرية، صيدا، ط: الثامنة والعشرون، 1414 هـ - 1993 م، 198/1

[28]: الرازي، التفسير الكبير.360/14

[29]: البقرة:83

[30]: الرازي، التفسير الكبير.585/3

[31]: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، بتحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، 459/1

[32]: البقرة:150

[33]: الرازي، التفسير الكبير.121/4

[34]. السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. 179/2

[35]: يوسف:18

[36]: الرازي، التفسير الكبير.430/18

[37]: البقرة:185

[38]: الرازي، التفسير الكبير.254/5

[39]: آل عمران:96

[40]: الرازي، التفسير الكبير.299/8

[41]: المائدة:82

[42]: الرازي، التفسير الكبير.414/12

[43]: المصدر السابق.463/21

[44]: البقرة:53

[45]: الرازي، التفسير الكبير.514/3

[46]: البقرة:104

[47]: الرازي، التفسير الكبير.634/3-635

[48]: طه:15

[49]: الرازي، التفسير الكبير.22/22

[50]: طه:63

[51]: المصدر السابق.66/22